

مَجَامِر شُبُك

مكتشفة في منطقة الجبل الغربي بأسويوط

أ. د. عبد الناصر ياسين*

تم الكشف في أثناء أعمال البعثة المشتركة بين جامعتي سوهاج وماينز الألمانية في منطقة الجبل الغربي بأسويوط^١، عن أعداد كبيرة من اللقى الخزفية والفخارية الإسلامية، وأكثر هذه اللقى عبارة عن أجزاء من أواني تنتمي إلى أنواع مختلفة من الخزف والفخار الإسلامي، كالفخار غير المطلي، والفخار المطلي، والخزف المزجج بلون واحد، والخزف المرسوم تحت الطلاء، والخزف المقلد لخزف أسرة "تانج" الصينية، واليورسلين الصيني. وقد نشرت بحثًا عن بعض هذه اللقى^٢، ولا يزال أمامي خطة عمل لاستكمال نشر الباقي منها.

ومن بين ما كشف عنه في أثناء أعمال البعثة، مجموعة من مجامر الشبك، لا تنتمي إلى مجموعة اللقى الخزفية والفخارية سابقة الذكر، لا من حيث طبيعة الاستخدام، ولا من حيث العصر الذي تنتمي إليه، لذلك فقد أثرت أن أنشر وأدرس هذه المجامر في هذه الدراسة المستقلة.

نبذة عن أهم الملامح الحضارية لمدينة أسويوط في العصر الإسلامي:

أسويوط بلدة مصرية قديمة تقع على الشاطئ الغربي للنيل من نواحي صعيد مصر، وقد كانت طوال العصر الإسلامي حتى نهاية العصر المملوكي قاعدة للأعمال الأسطورية، وفي العصر العثماني أُلغيت الأسويوطية وأُضيفت إلى ولايتي المنفلوطية وجرجا^٣.

* أستاذ الآثار والفنون الإسلامية، بقسم الآثار الإسلامية، جامعة سوهاج، وعضو البعثة المصرية الألمانية المشتركة العاملة في جبل أسويوط ومستشارها لشئون الآثار الإسلامية والقبطية.

١ تمت هذه الأعمال بدءًا من الموسم ٢٠٠٣م، حتى تاريخه -الموسم ٢٠١٢م- وذلك تحت رئاسة الأستاذ الدكتور/ محمود الخضرجي، أستاذ الآثار المصرية بجامعة سوهاج، والأستاذ الدكتور/ Jochem Kahl أستاذ الآثار المصرية بجامعة ماينز الألمانية، وقد شرفنتي البعثة باختيارى كمستشار لها في شئون الآثار الإسلامية والقبطية وذلك خلال موسم العمل ٢٠٠٧م، ثم شرفنتي البعثة بإلحاقى كعضو فيها بدءًا من الموسم ٢٠٠٨م. ومن المنتظر أن تستمر أعمال البعثة عدة سنوات قادمة إن شاء الله تعالى، وذلك وفق خطة عمل متكاملة، تهدف إلى دراسة كل ما سيُكشف عنه في أثناء عمل البعثة.

٢ حوليات إسلامية،

Annales 44- 2010, Islamologiques, Institut Français d' Archéologie Orientale, Le Caire, 2010, pp. 126- 167.

٣ سعاد ماهر، محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٤٤.

تمتعت مدينة أسيوط بمنزلة مهمة في العصر الإسلامي، وذلك ما نستدل عليه من أقوال كثير من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين، الذين وصفوا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية بها^٤، وأكد كثير منهم بوجه خاص على مكانتها الاقتصادية العالية، ولعل ذلك يرجع بالإضافة إلى ازدهار التجارة المحلية بها، إلى ازدهار التجارة الدولية بها كذلك، خاصة التجارة مع السودان عن طريق درب الأربعين^٥، ومع المغرب عن طريق الإسكندرية، وكذلك مع اليمن والحجاز^٦.

ومن الثابت وفق ما ورد في كثير من المصادر والمراجع أن أسيوط اشتهرت في العصر الإسلامي بإنتاج كثير من الحاصلات الزراعية، كقصب السكر، والكتان، والنيلة، والأفيون، والحبوب، والبقول^٧، وغيرها^٨، هذا إلى جانب أنها كانت مركزاً

٤ راجع، ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم، فضائل مصر وأخبارها، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٦٥؛ ابن الكندي، عمر بن أبي عمر، فضائل مصر المحروسة، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٤٠؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة، يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، العدد ١٢٢، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٣١؛ البكري، أبي عبيد، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٨٧٤؛ الإدريسي، أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، مج ١، ص ١٢٨؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٣٥؛ القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت، ١٤٧؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٠؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، د. ت، القسم الثاني، ص ٢٢، ٢٣؛ ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق، مصطفى السقا، وكامل المهندس، مركز تحقيق التراث، دار الكتاب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٩م، ص ٦٢؛ وانظر كذلك، أسامة محمد فهمي، نظرة عامة حول أسيوط في العصر الإسلامي (الموقع والجغرافيا)، تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج ٢، العصر الإسلامي، ص. ص ١٦ - ٣٠.

٥ سعاد ماهر، محافظات الجمهورية العربية المتحدة، ص ٤٤. ودرب الأربعين: طريق يربط بين النيل وغرب السودان، كان مستخدماً منذ عهد الفراعنة حتى القرن قبل الماضي، وهو يبدأ من أسيوط حتى يصل إلى الواحات الخارجية، ثم يسير جنوباً فيمر بواحة سليمة وبئر النطرون حتى يصل إلى الفاشر، وكانت تقطعه القوافل في شهرين، ولكن عدد أيام السير بين الأبار كان أربعين يوماً، ولذلك أُطلق عليه "درب الأربعين". شوقي عبد القوي عثمان، التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧١.

٦ أسامة محمد فهمي، ص ١٤.

٧ سعاد ماهر، محافظات الجمهورية العربية المتحدة، ص ٤٤.

٨ راجع، محمد أحمد محمد بدوي، ص ٨٠ وما بعدها.

مهماً لعدد من الحرف والصناعات، سيما صناعات النسيج، والسجاد، والصبغة، والجلود، والعاج، والفخار، والزجاج^٩.

وعلاوة على ما تقدم، فقد أشارت بعض الدراسات التاريخية إلى أن مدينة أسيوط كانت زاخرة بأنواع مختلفة من المنشآت المعمارية، خاصة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، كالمنشآت الدينية من مساجد، ومدارس، وزوايا، والمنشآت التجارية من فنادق، ووكالات، وقياسر، والمنشآت المائية كالقناطر وغيرها^{١٠}.
موقع العثور على مجامر الشبك:

كُشف عن مجامر الشبك محل الدراسة وغيرها من اللقى الخزفية الإسلامية في أرضيات^{١١} بعض المقابر المصرية القديمة المنحوتة في التلال الصخرية الكائنة بالجبل المتاخم لمدينة أسيوط من جهة الغرب (جبل أسيوط الغربي)، ويرتفع هذا الجبل حوالي ٢٠٠ مترًا فوق سطح البحر، وتُعرف هذه المنطقة بأسماء متعددة أشهرها "إسطبل عنتر"^{١٢}.

والمقابر المصرية القديمة المشار إليها محفورة في الصخر، وتضمن حوائط بعضها نقوشًا وتصاوير مصرية قديمة ترجع إلى عصري الانتقال الأول والدولة الوسطى، كما كُشف في أرضيات وآبار الدفن في بعضها عن لقى أثرية مصرية قديمة معاصرة للفترتين السابقتين، هذا إلى جانب لقى أخرى من فترات زمنية لاحقة ترجع إلى العصرين اليوناني والروماني^{١٣}.

واستخدم بعض النساك المسيحيين كثير من تلك المقابر المصرية القديمة كمحل سكن وتعبد. وقد زخرت بعض جدران هذه المقابر برسوم جدارية مسيحية ترجع إلى حوالي القرنين السادس والسابع الميلاديين. كما أنشئ بالقرب من هذه المقابر عدة أديرة لم تزل أطلال اثنين منها باقية، واحد منها يرجع إلى حوالي القرنين السادس والسابع الميلاديين، والآخر يرجع إلى حوالي القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد

٩ للاستزادة، راجع، عاصم رزق، مراكز الصناعة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، الألف كتاب الثاني، العدد ٦٨، ص ٢٤٨-٢٥٣؛ شوقي عبد القوي عثمان، ص ٧٠؛ محمد أحمد الكردوسي، الحياة الاقتصادية في السبوطية في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج ٢، العصر الإسلامي، ص. ص ٢١١-٢٢٤.

١٠ راجع، محمد أحمد الكردوسي، ص. ص ٢٦٥-٢٦٧، ٣٠٧-٣٠٩، ٣٢٠-٣٢٣.

١١ جدير بالذكر أن هذه المجامر واللقى وجدت في طبقات متقلبة، وذلك نتيجة تعرض هذه المقابر لأعمال غير منظمة في فترات مختلفة.

١٢ عن الأسماء الأخرى التي أُطلقت على تلك المنطقة مثل: "جبل الكفار"، و"جبل الكافرين"، وغير ذلك. راجع، Jochem, Op. Cit., p. 59.

١٣ قام الأستاذ الدكتور/ محمود الخضرجي، والأستاذ الدكتور/ Jochem Kahl، بنشر عدة أبحاث عن الآثار المصرية القديمة في هذه المقابر، وعلاوة على ذلك فستصدر سلسلة من الكتب تتناول أعمال الآثار المصرية القديمة المكتشفة في هذه المقابر، وقد صدر منها الجزء الأول، وهو الكتاب المشار إليه في الحاشية رقم ٣.

استمر كلا الدينين عامرين فترة طويلة خلال العصر الإسلامي حيث خربا في القرن التاسع الهجري/ ١٥م^{١٤}. كما عُثر في أرضيات بعض هذه المقابر على أعداد كبيرة من اللقى الفخارية القبطية.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن هذا الجبل الذي تقع فيه تلك المقابر المصرية القديمة -التي كُشف فيها عن المجامر محل الدراسة وغيرها من اللقى الخزفية الإسلامية- تعرض في سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م لهجوم جيش السلطان المملوكي "الناصر محمد بن قلاوون"، وذلك لمحاصرة العربان الذين خرجوا على هذا السلطان وأعلنوا العصيان عليه، ولجئوا إلى التحصن في المقابر المصرية القديمة -المغاير- الكائنة بهذا الجبل^{١٥}.

ومن ناحية أخرى، فقد لجأ بعض البكوات والمماليك إلى تلك المقابر المصرية القديمة الكائنة في جبل أسيوط الغربي، وأحدثوا فيها بعض التلفيات، وقد حدث هذا الأمر قبل الحملة الفرنسية على مصر (١ محرم ١٢١٣هـ - جمادى الأولى ١٢١٦هـ/ ١٥ يونيو ١٧٩٨ - ١٣ سبتمبر ١٨٠١م)^{١٦}.

تعريفات:

الشُبُك: في التركية "جُبُوق" و "جوبوق" بالجيم المشربة فيهما: الأنبوبة، والعصا، والماسورة، والقصة. وشُبُك الدخان (توتون جبوغي) عبارة عن أنبوبة في أحد طرفيها مبسم، وفي الطرف الآخر مجمرة أو حجر يوضع بها التبغ والفحم^{١٧}. أي أن شبك الدخان يتكون من ثلاثة أجزاء، هي: الفم ويُطلق عليه التركيبية أو المبسم، والقصة ويُطلق عليها العود أو الأنبوبة، والحجر^{١٨}، الذي يُعرف أيضًا بالمجمرة. ويُعرف الشبك أيضًا باسم الغليون، والجمع: غلايين، وغلاويين^{١٩}. وهي أداة من أدوات التدخين التي ظهرت في مصر في العصر العثماني، وزاد استعمالها بتولي "محمد علي" الحكم^{٢٠}.

١٤ راجع،

Kahl, J., Ancient Asyut the First Synthesis after 300 Years of Research, the Asyut Project I, Wiesbaden, 2000, p. 5 ؛

عبد الناصر ياسين، لُقى خزفية إسلامية، ص ١٢٦.

١٥ راجع، المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٤٦٦ وعبد الناصر ياسين، لُقى خزفية إسلامية، ص ١٥٠، ١٥١.

١٦ موسوعة وصف مصر، ج ٢٣، ص ١٣٥.

١٧ أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٣٣.

١٨ فائزة الوكيل، ص ٤٢٢.

١٩ فائزة الوكيل، ح ٣٩، ص ٤٢٢.

٢٠ فائزة الوكيل، أدوات التدخين في مصر في عصر محمد علي، دراسة أثرية حضارية في ضوء مجموعة متحف جابر أندرسون وقصر المنيل، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد السادس، ١٩٩٥م، ص ٤١٢.

وتُصنع مجامر الشبك أو أحجار الشبك من مواد خام مختلفة، كالفخار، والمعدن^١، وإن كان الفخار أكثرها انتشاراً.

المجامر موضوع الدراسة:

تتفق المجامر محل الدراسة في أن جميعها مصنوع من الفخار، وإن اختلفت في تفاصيل أشكالها وأحجامها وزخارفها هذا فضلاً عن اكتمال بعضها، وتهتم بعضها وتكسر بعضها الآخر إلى أجزاء. وبيان هذه المجامر، كما يلي:

١ - رقم القطعة: S. 08/ St. Single 24

تاريخ الكشف عنها: ١٦ / ٩ / ٢٠٠٨ م

مكان الكشف عنها: N 13. 1

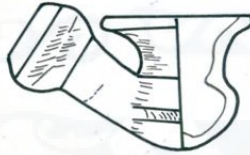
الطول: ٦ سم

الارتفاع: ٣.٥ سم

اتساع قطر الفوهة: من الخارج: ٣.٧ سم، ومن الداخل: ٣.٣ سم

اتساع قطر مدخل القصبية: من الخارج: ٢.٦ سم، ومن الداخل: ١.١ سم

الوصف: مجمرة شبك من الفخار المطلي، موضع وضع التبغ مخروطي الشكل. تكاد المجمرة تخلو من الزخرفة، عدا تحزيزات بسيطة عند منطقة مدخل القصبية. ولا يظهر بالمجرة آثار استخدام (شكل ١، اللوحان ١١، ب).



(شكل ١)



(لوحة أ)



(لوحة ١١)

٢- رقم القطعة: S. 04/ St. 366

تاريخ الكشف عنها: ٢٠ / ٩ / ٢٠٠٤م

مكان الكشف عنها: Tomb III/ shaft 1

الطول: ٥ سم

الارتفاع: ٣.٧ سم

اتساع قطر الفوهة: من الخارج: مكسور، ومن الداخل: مكسور

اتساع قطر مدخل القصبة: من الخارج: ٢.١ سم، من الداخل: ٠.٩ سم

الوصف: جزء من مجمرة شبك من الفخار غير المطلي، بها كسر كبير في موضع وضع التبغ. وتخلو المجرمة من الزخرفة، عدا وجود أشكال صغيرة محفورة بخارج موضع اتصال القصبة (شكل ٢، اللوحان ١٢، ب).



(شكل ٢)



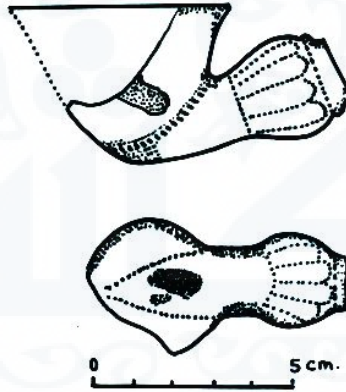
(لوحة ٢ ب)



(لوحة ١٢ أ)

٣- رقم القطعة: S. 08/ St. No. 177
تاريخ الكشف عنها: ٢٠٠٨ / ٨ / ٣١ م
مكان الكشف عنها: Tomb V

الوصف: مجمرة شبك غير كاملة، من الفخار غير المطلي، بها كسر كبير في مكان وضع التبغ. ويُلاحظ في خامة المجمرة أنها سوداء متماسكة من الداخل بين طبقتين بنيّتي اللون. وتحتوي المجمرة على زخرفة قوامها أوراق نباتية؛ تدور حول موضع دخول القصبّة، والشكل بوجه عام يبدو أنه يحاكي شكل زهرة (الشكلان ١٣، ب، واللوحتان ١٣، ب).



(شكل ١٣، ب)



(لوحة ٣ ب)



(لوحة ١٣ ب)

٤- رقم القطعة: S. 08/ St. No. 74

تاريخ الكشف عنها: ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٨ م

مكان الكشف عنها: Tomb V

الطول: ٤.٧ سم

الارتفاع: ٢.٧

اتساع قطر الفوهة: من الخارج: مكسور، من الداخل: مكسور
اتساع قطر مدخل القصبة: من الخارج: مكسور، من الداخل: مكسور
الوصف: جزء من مجمرة، مفقودة أجزاء كبيرة منها، ويُلاحظ في خامتها أنها سوداء من الداخل بين طبقتين بنيّتي اللون. وتحتوي المجمرة على زخرفة بسيطة في منطقة وضع التبغ من الخارج، قوامها أشكال نقاط صغيرة محفورة. والمجمرّة بها آثار استعمال (شكل ٤، اللوحان ٤أ، ٤ب).



(شكل ٤)



(لوحة ٤ب)



(لوحة ٤أ)

٥- رقم القطعة: S. 04/ St. No. 21a

تاريخ الكشف عنها: ٥ / ٩ / ٢٠٠٥ م

مكان الكشف عنها: Tomb III

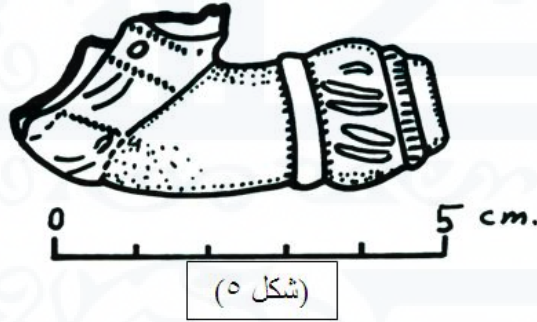
الطول: ٥.٦ سم

الارتفاع: ٣.٦ سم

اتساع قطر الفوهة: من الخارج: مكسور، من الداخل: مكسور

اتساع قطر مدخل القصبة: من الخارج: مكسور، من الداخل: مكسور

الوصف: مجمرة شبك غير كاملة، يحتوي الجزء المتبقي من موضع وضع الدخان من الخارج، على ثلاثة أشرطة زخرفية أفقية، ويمتد من الشريط الأعلى حزوز تتجه رأسياً، من الواضح أنها تقسم الجزء العلوي الذي ينتهي بالفوهة. المجمرة بها آثار استعمال (شكل ٥، واللوحتان ٥أ، ٥ب).



٦- رقم القطعة: S. 04/ St. No. 136 C

تاريخ الكشف عنها: ١٢ / ٩ / ٢٠٠٤م

مكان الكشف عنها: Tomb IV

الوصف: ثلاث كسر من مجمرة شبك من الفخار المزجج. ويُلاحظ أن الخامة رقيقة جدًا، عبارة عن طبقتين بلون محمر، تحصران بينهما طبقة سوداء اللون. والمجمرات تملأ من الزخرفة، عدا زخرفة بسيطة عند حافة الفوهة، قوامها أشكال بيضاوية متصلة. ويوجد بداخل المجمرات بقايا استخدام (شكل ٦، واللوحان ٦أ، ب).



(شكل ٦)



(لوحة ٦ب)



(لوحة ٦أ)

٧- رقم القطعة: S. 09/ St. No. 0285

تاريخ الكشف عنها: ٢٦ / ٨ / ٢٠٠٩ م

مكان الكشف عنها: Tomb V

الوصف: جزء صغير من مجمرة شبك بالحافة. فخار مزجج، مزينة من الخارج بثلاثة صفوف أفقية أسفل الحافة، بأسفلها أشكال رأسية، ربما تعبر عن بقايا أوراق زهرة. وبالمجمره آثار استخدام (شكل ٧، لوحة ٧).



(لوحة ٧)



0 1 2 3 4 cm.

(شكل ٧)

٨- الرقم: S. 04/ St. No. 16

تاريخ الكشف عنها: ٤ / ٩ / ٢٠٠٤ م

مكان الكشف عنها: Tomb. III

الوصف: ثلاث كسر من مجمرة شبك من الفخار المطلي. تخلو من الزخرفة، عدا زخرفة بسيطة عند حافة الفوهة. يوجد بداخل المجمره آثار استخدام (لوحة ٨).



(لوحة ٨)

٩- رقم القطعة: S. 05/ St. No. 303

تاريخ الكشف عنها: ٢٠٠٥ / ٩ / ٣

مكان الكشف عنها: Tomb. III shaft 2

الوصف: كسرة من مجمرة شبك تمثل مدخل القصبية. فخار مطلي، العجينة سوداء اللون. اتساع قطر مدخل القصبية من الخارج: ٢.٥سم، من الداخل: ١.٦سم (لوحة ٩).



(لوحة ٩)

ويبقى السؤال، إلى من تنتمي مجامر الشبك محل الدراسة، وما هو تاريخها؟
بادئ ذي بدء، ينبغي الإشارة إلى أن أسيوط كانت تصنع مجامر الشبك محلياً، ووصلنا منها نماذج تشير إلى جودة صناعة هذه المجامر^{٢٢} (لوحة ١٠)، مما يعني إمكانية كون المجامر محل الدراسة من صناعة أسيوط نفسها، وتخص بعض أهلها، ولكن العثور على هذه المجامر، في المقابر المصرية القديمة بأعلى جبل أسيوط

^{٢٢} يوخيم كال، حتى الزمن أصابه الوهن (مدينة أسيوط وجباناتها في ضوء تقارير الرحالة الغربيين من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، تشيديد. تشيديد. إعادة تشيديد) ترجمة، يوسف محمد أحمد محمد، دار هارازوفيتش للنشر، فيسبادن، ٢٠١٣م، ص. ٤٣-٤٥.

Kahl, J., DieZeit selbst lag nun tot darnieder, Die Stadt Assiut und ihre Nekropolen nach westlichen Reiseberichten des 17. Bis 19. Jahrhunderts: Konstruktion, Destruktion und Rekonstruktion Arabische Übersetzung von Youssef Mohamed, the Asyut Project 5, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2013, p. 43-45, Taf.9.

الغربي، تدفعنا إلى البحث عن طائفة أخرى قد تكون اضطرت في وقت ما إلى الإقامة، أو التواجد، أو المرور، أو زيارة تلك المنطقة الجبلية الوعرة.

سبق لنا الإشارة إلى أن كثيرًا من تلك المقابر المصرية القديمة المنحوتة في جبل أسيوط الغربي؛ كانت محلاً لسكن وتعبد بعض النساك المسيحيين، وتضمنت بعض جدرانها رسوم جدارية مسيحية ترجع إلى حوالي القرنين السادس والسابع الميلاديين، وأنه أنشئ بالقرب منها عدة أديرة لم تزل أطلال اثنين منها باقية حتى الآن، واحد منها يرجع إلى حوالي القرنين السادس والسابع الميلاديين، والآخر يرجع إلى حوالي القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد استمر كلا الديرين عامرين فترة طويلة خلال العصر الإسلامي حيث خربا في القرن التاسع الهجري/ ١٥م.

كما أشرنا كذلك إلى أن هذا الجبل الذي تقع فيه تلك المقابر المصرية القديمة - التي كُشف فيها عن المجامر محل الدراسة- تعرض في سنة ١٣٠١هـ/ ١٧٠١م لهجوم جيش السلطان المملوكي "الناصر محمد بن قلاوون"، وذلك لمحاصرة العربان الذين خرجوا على هذا السلطان وأعلنوا العصيان عليه، ولجئوا إلى التحصن في المقابر المصرية القديمة فيه -المغائر- الكائنة بهذا الجبل.

وبالطبع فإن مجامر الشبك موضوع البحث لا تنسب إلى النساك المسيحيين الذين عاشوا في هذه المقابر، ولا إلى العربان الذين تحصنوا فيها أو إلى الجيش المملوكي الذي حاصرهم فيها، إذ لم تكن وسيلة التدخين المعروفة بالشبك قد عُرفت عند هؤلاء أو أولئك.

إذن فلن يمكن نسبة مجامر الشبك هذه؟

لدينا نص مهم ورد في كتاب "وصف مصر" الذي ألفه علماء الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣هـ- ٥ جمادى الأولى ١٢١٦هـ/ ١٥ يونيو ١٧٩٨- ١٣ سبتمبر ١٨٠١م)، قام فيه "جولوا"، و "ديفيليه" بوصف أسيوط وما بها من آثار مصرية قديمة، وقد خصا المقابر المصرية القديمة -التي كُشف فيها عن المجامر محل الدراسة- بجانب كبير، وورد لديهم هذا النص: "ويُخيل إلينا أن جميع مقابر أسيوط لم تكن منذ عدة سنوات بهذه الحالة من التلف، وقد أوضح لنا رجل من البلاد كان مرشدًا لنا أنه قد رأى تلك المقابر في حالة جيدة جدًا وأن الرسوم كانت أكثر زهاءً وأكثر احتفاظًا برونقها وأن قوائم الأبواب والأسقف لم تكن مهشمة أبدًا كما هو الحال في الوقت الحاضر، وطبقًا لأقواله فقد علمنا أن البكوات والممالك خربوا حديثًا هذه المقابر وذلك بإطلاق رصاص البنادق عليها؛ حيث نرى في الواقع آثار تلك الطلقات في مواضع عديدة؛ في حين أن ذلك الرجل لم يستطع أن يحدد لنا بدقة في أي وقت وعلى يد من من الممالك قد حدثت تلك التلفيات"^{٢٣}.

وعلى ضوء هذا النص، فإن بعض البكوات والممالك وصلوا إلى المقابر المصرية القديمة بجبل أسيوط الغربي، وذلك في أواخر عصر الحكم العثماني على

مصر، وفي تاريخ معاصر للحملة لفرنسية عليها. ولعل ذلك يجعلنا نتساءل عن إمكانية نسبة مجامر الشبك محل الدراسة إلى هؤلاء البكوات والمماليك، سيما أن معظمها يتميز بدقة الصناعة، وجمال الشكل، وحسن الزخرفة، هذا فضلاً عن رقة الخامة، واحتوائها على الطلاء، وذلك قياساً مع مجامر أخرى لم تتوافر فيها هذه المميزات^{٢٤}، مما يُشير إلى أنها كانت تخص طبقة مميزة وثرية من طبقات المجتمع المصري في هذا الوقت، كالبكوات والمماليك.

الجدير بالذكر أن استعمال الشبك كان شائعاً إلى حد كبير في زمن الحملة الفرنسية على مصر، وقد رسم لنا فنانون هذه الحملة، كثيرًا من الأشخاص وهم يستعملون هذه الشبك^{٢٥}، هذا فضلاً عن الشبك بأجزائه الثلاثة (شكل ٨)، وأعداد كثيرة من مجامر شبك هذه الفترة^{٢٦} (شكل ٩).

وقد أشار علماء الحملة الفرنسية إلى الطينة التي تُصنع منها مجامر الشبك، على النحو التالي: "أما الطين الذي يُستخدم في مصانع الفخار بالقاهرة لصنع الأعمال البالغة الدقة، وبخاصة أحجار النارجيلات فيسمى طينة، وتُجلب هذه من البساتين ودير التين، على مسافة ميريامتر [١٠ آلاف متر] من القاهرة"^{٢٧}.

٢٤ راجع، عبد الناصر ياسين، اللقى الخزفية والفخارية المحفوظة بمتحف كلية الآداب بسوهاج، ص. ١٠٥١-١٠٥٥، الأشكال ٢٤-٢٩، اللوحات ٢٤-٢٩.

٢٥ انظر، وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة (٢)، ترجمة، زهير الشايب، ج ١٤، اللوحة ٩٢، شكل ٢، اللوحة B الشكل ١، اللوحة C الشكل ٢، واللوحة D الشكلان ١، ٢، اللوحة E الشكلان ٢، ٥.

٢٦ وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة (٢)، الأشكال ٢٣-٤١.

٢٧ وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة (٢)، التعليق على اللوحة ٢٢، منظر داخلي لمشغل صنع الفخاريات.



(شكل ٨) شبك، من رسم فنانى الحملة الفرنسية، وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة (٢)، الشكل ٤١.



(شكل ٩) مجامر شبك، من رسم فنانى الحملة الفرنسية، وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة (٢)، الأشكال ٢٣ - ٤٢.